المساعدات التي قدمها مونطفيوري على تحسين اوضاع اليهود في فلسطين ، في منتصف القرن الماضي ، رغم قلة عددهم نسبيا ـ « وهذا امر غريب بحاجة الى تفسير وتعليل » · واليك بهما : لم يستطع مونطفيوري ان ينقل اولئك اليهود من حياة الخمول التي كانوا يعيشونها الى حياة العمل المنتج ، لان المفاهيم الدينية التي كانت سائدة بينهم دفعتهم الى تحديد هدفهم في الحياة بانه اقامة الصلوات ، انتظارا لقدوم المسيح ـ المخلص ، وليس تعاطي اي عمل دنيوي · بل كانوا يعتقدون ان من « واجب » الاخرين هو تقديم المساعدات لهم ، لكي يتفرغوا لاقامة الشعائر الدينية المختلفة · ولذلك عندما توقفت المساعدات ، التي صرفت لتلبية الحاجات اليومية ، دون الاهتمام بمشاريع للمستقبل ، عاد الوضع الى ما كان عليه ، وبقيت اوضاعهم كما كانت دون تحسن يذكر ·

٥ ـ ويتساءل المراجع ايضا حول « تناقض » مزعوم اخر (ص ١٥٧ ، العمود الاول) و « التناقض » قائم ، بحسب رأيه ، بين الصفحة ١٢٤ من الكتاب ، حيث جاء ان المستوطنين الصهيونيين كانوا متعلقين بجهاز موظفي روتشيلد ، والصفحة التالية حيث الحديث عن صدامات نشبت بين الطرفين · ولا شك ان « مستوى » لا بأس به من عدم القدرة على فهم النص المكتوب واستيعابه ، حتى وان كان بالعربية ، هو الذي دفع سمير ايوب الى ايراد مثل هذه الاعتراضات · لقد اشرنا في الكتاب عند الحديث عن هواة صهيون ان مصادرهم المالية قد نضبت بعد وقت قصير من قدومهم الى فلسطين ، فكادوا يفلسون ، لولا تدخل روتشيلد الذي وعد بتقديم المساعدات لهم ، من خلال جهاز موظفين معين من قبله يتولى ادارة تلك المستوطنات · ومن الطبيعي ان يتعلق الموظفون بهذا الجهاز، في بداية تعامله معهم ، خصوصا بعد ان عرض نشاطه كأنه يهدف الى تخليصهم من ضائقتهم المالية ـ فروتشيلد وجهاز موظفيه انقذوا المستوطنين في نهاية الامر من كارثة مالية · ولكن مع مرور الوقت راح اولئك الموظفون يسيطرون تدريجيا على حياة المستوطنين ونشاطه وطريقة معيشته باسرها (وهذا ما جاء الكتاب على ذكره) ، ويصرفون الاموال المخصصة للمستوطنين على هواهم ، من خلال اساءة استعمال الصلاحيات الممنوحة لهم ، كما يحدث في حالات من هذا النوع ، ولذلك نشبت الصدامات بين الطرفين · فما هي الغرابة في ذلك ؟ وما هي صعوبة «فهم» الامر ؟ بل ما هو مبرر التساؤل ؟

٦ ـ وفي الصفحة ١٥٥ ، العمود الثاني يكتشف سمير ايوب ايضا « تناقضا » اخر ـ وما اكثر « اكتشافاته » ـ فيتساءل لماذا نعتبر طرد اليهود من اسبانيا سنة ١٤٩٢ بداية لنشوء المسالة اليهودية بمفهومها الذي شكل احدى مقدمات الصهيونية ، بينما كان اليهود قد طردوا من بريطانيا سنة ١٢٩٠ · ورغم « الخفة » التي ينم عليها مثل هذا التساؤل ، الذي لا تترك المادة الواردة في الكتاب مجالا لطرحه ، فالجواب بسيط للغاية : ان يهود بريطانيا، عند طردهم سنة ١٢٩٠ ، شكلوا اقلية هامشية بالنسبة لعدد اليهود في اوروبا باسرهم ، ولذلك لم تؤثر عملية طردهم ، التي كانت منفصلة عما سبقها او تبعها من تطورات في هذا المجال ، على اوضاع اليهود ككل · اما عملية الطرد من اسبانيا فقد كانت اوسع نطاقا ، ثم اصبحت فاتحة لعمليات اخرى مماثلة في بعض الدول الاوروبية ، كانت نتيجتها انتقال اكثرية اليهود للعيش في بولونيا وروسيا الشرقية · ومن هنا التغيير الجذري في اوضاعهم ، ثم بداية تبلور المسالة اليهودية · فما هو مبرر التساؤل ، والحديث عن « تناقض » ، خصوصا وان